# قصة قصيرة

## علم الليلة الأولى

بقلم
عاطف سعد
بماسح النجاع الوطنية

" ماذا اردت ان تقول لي ؟"

سالته بلهفة قبل ان يتركها ويتوجه الى مركز البوليس وفي الحقيقة عنده كلام . اى كلام ليقوله لها لكن التوقيت غير مناسب . فقد علم لتوه بضرورة التوجه الى المركز لانهم يطلبونه .. ويريدونه من " تحت الارض " .. واعصابه وكيانه .. تاهبت لتقول كلاما كالرصاص ليقذفه في وجه جلاده وحرارة هذه الكلمات ليس ادنى من حرارة كلماته التي كان يريد البوح بها . لكن الجلاد منعه .. او وضعه في موقف لا يكون فيه عاشقا من جانب واحد وهنا في هذا المكان وفي هذا الموقف تتوحد الذات بالعام

" ليس عندى ما اقوله لك الان . انني مهما لهم . اشوف وجهك على خير "

وذهب يلملم اجزاءه لتكون كلا متماسكا . قويا امام جلاده ونسي ان ينظر في عينيها السوداوين ليقول وداعا بالنظرات لكنه قال — على ما يبدو — حروف الوداع "بدمعتين تحجرتا بماقيهما . انه يكره الوداع . يتذكر امه بعد كل وداع لابنائها المسافرين الى بلاد الغربة .

ويكره الوداع لانه يؤلمه عندما يضطر الى ترك اصدقائه ورفاقه عندما تنفيه ادارة السجن .. الى سجن بعيد آخر . ويكره الوداع . لانه ارغمه على ترك اعز الناس اليه دون استئذان او مقدمات .. او حتى قبلة على الجبين . ويكره الوداع لانها قالت له مرة " لا تقل لي وداعا بل قل الى اللقاء "

لكن ما هو الكلام الذى كان ينوى قوله لها في ذاك اليوم الحار هكذا فكر عندما ترك جلاده وركن في زاوية زنزانته السوداء .

— " اخاف عليك .. "

— " ممن ؟ "

— ( بعد تامل في عينيها . ) من نفسي " ..

— بسرعة — "كيف ؟ " .

— " اريد لك السعادة والفرح والحياة . وسعادتك وفرحك وحياتك .. ليست رهنا بيدى لاقدمها على كفي لك عندى جزء بسيط من ذلك . لكن الاجزاء الاخرى موزعة بين حيرتك الوحشية ، وبين اهلك . فاهلك لا تربطني بهم علاقات ودية وهناك هوة كبيرة بيني وبينهم . انهم يكرهونني دون ان يعرفوني شخصيا . وانا حقيقة لا اكرههم . فانا لا اكره الناس وكل ما اكرهه اساليبهم وانانيتهم وفرديتهم ، هذه الانانية المقيتة التي تجعلهم على استعداد لارتكاب ابشع الجرائم ليحافظوا على رؤوس اموالهم ومصالحهم الضيقة . وانا اقاوم ذلك . وانت تعرفين . وارفض ذلك وانت تعلمين . اقاومه وارفضه لانني مؤمن بضرورة وجود حياة افضل للناس . وهذه الحياة لا تتم بدون القضاء على الفوارق الطبقية الحادة جدا بين الناس . واذا علموا عن علاقتك معي سيغضبون .. ويغضبون .. ويعصرون وستكونين انت اول من سيغضبون عليه .. من خلال اناس اكنهن لهم اعمق مشاعر الحب والولاء .. " انك "الانسانة التي احببت جانبا من شخصي على حد قولك . لكنها ستزعم على التناول حتى عن هذا الجانب .. لانها هي التي ستدفع الثمن .. وسيكون باهظا وهذا سيكون صعبا عليك وعليها . فمن سيقف معك ؟ .. ومن سيحميك ؟

لهذا اخاف عليك من نفسي .

استمعت اليه بخشوع الصمت الاني من غور عينيها السوداوين . كانت تحب الاستماع اليه عندما يتكلم ومرارا كانت تداعبه بقولها " انت صاحب اطول لسان عرفته .. " لكن هذه المرة تشعر ان عليها ان ترد عليه وهو يشرح لها فلسفة الخوف عليها من نفسه :

.. انني ابغض تقاليد اهلي . واحيانا اشعر انني ابغضهم . واتمنى لو انني لم اولد بينهم . وانا اعرف الكثير عن انانيتهم . عرفت ذلك بعد ان دفعوني ثمنا لا اكاد اطيقه . لكن شكرا لامي التي فهمت ظروفي وساعدتني في التخلص من ذلك المازق . لكن بغضي لاهلي لا يحجب عني ان انتمائي لهم حقيقة اجتماعية لا استطيع .. وانت ايضا — ان تنكرها خاصة في مجتمع يهتم بالشكليات ومعادلة الحسب والنسب . وقد اكتشفت قيمهم العفنة من تجاربي العفوية والواعية .. فهم لا يتورعون عن ادخال ابنائهم وبناتهم في صفقاتهم التجارية التي يغطونها باقنعة الاصول والفروع والعائلية والشرف الرفيع وكل هذا مفهوم لي .. وانا مثلك ارفضه وقد طبقت ذلك بالاعتماد على ارادتي المتحدية لقيمهم الخاطئة وبمساعدة امي التي لولاها لما استطعت شيئا وحقيقة انها دفعت ثمنا لذلك .. وانا اريد الاستمرار في التحدى ورفض اى شيء لا يرضي قناعاتي . لكن استمرار التحدى والرفض مرهونين بتخرجي من الجامعة . لاشتغل واتخلص من تبعيتي الاقتصادية المطلقة لهم حتى يكون لرفضي اساس مادى فعلي واريد ان اقول لك شيئا استشف من كلامك انك تنظرين اليّ بنزعة تشاؤمية ، وهذا جديد فى تقديرك لشخصيتي واستعدادى للقتال في سبيل مبادئي التي ولدت معي منذ اول ما رفضت قيدى واسرى المغلف انا ارفض منك هذه النظرة . وهذه النزعة واطالبك بان تقمعي في روحي ونفسي ووعيي ارادة التحدى والرفض لكل ما هو خاطيء حولي .. لاكون مسؤولة فعلا عن صنع حياتي .. وتقرير مستقبلي الذاتي الذى يرتبط مع مستقبل الناس الطيبين الذين يريدون صنع ايام الاغاني والفرح . هذا ما تعلمته منك . وكلماتي الاخيرة هي نفس الكلمات التي كتبتها على اول كتاب اهديته لي . ام انك نسيت ؟؟ "

لقد الصمت التام وهو يستمع اليها . حملق في عينيها السوداوين كما يحملق الراهب البوذى اثناء صلاته في وجه الهه الجميل بودا . احس انه يعرفها لاول مرة . انه يراها اكبر من سنها الزمني لاول مره . انها تتحدث بثقة المؤمنين واصرارهم . وهذا ما يعجبه . وهذا ما يريده لكنه يلقي محافظا على تقديره لمعنى الخوف عليها من نفسه . رغم ثقته بقناعاتها التي ولدت من معاناتها .. كما قالت .

— " لست متشائما كما تتصورين .. ولا اريد ان احبط في نفسك روح التحدى والثورة . لكني لا زلت ارى شدة حيرتك .. وطموحاتك الواسعة بلا ضوابط واقعية . . وارتباطك .. باهل ... "

وقاطعته بشراستها العفوية المحببة له :

"يعني هل تنصحني بان اقطع علاقاتي مع طبقتي في هذا الوقت ؟ وهل هذا معقول ؟ في ظروفنا التي نعيش ؟؟ ثم كيف لا يحق لي بان اكون طموحه . ام انك نسيت انك صاحب عبارة غرستها في عقلي .. اختاري ان تكوني . "

— رد بسرعة .. لا اقصد ذلك قطعيا "

— اذن ماذا تقصد بالتحديد " .

— " لا اعرف .. لكنه الخوف عليك "

— " لا ارى مبررا لهذا الخوف — على الاقل في الظروف الحالية — قبل ايام تحدثنا عن معنى الخوف واذكر انك قلت .. ان الشيء الوحيد الذى يجب ان نخاف منه هو الخوف نفسه . واقتنعت بقولك وماذا بقي لك اذن ؟؟ " .

— " .. ومستقبلنا ... "

استمعت الى الكلمة كانها رصاصة اطلقت فجاة في الصمت وحدقت عيناها الجميلتان في الافق . وصادف ان كانت الشمس في غروبها السحرى . ولطالما تمنى ان يرى معها غروب الشمس في البحر . عادت اليه من شرودها ..

— " ارجوك . دعنا من التفكير بالمستقبل . نتعب انفسنا ونرهق تفكيرنا به .. وهو لا ينظر الينا او يهتم بنا لندع هذا الذى يسميه الناس — مستقبل — ولنعش حياتنا كما هي ..في الوقت الحاضر فنحن متفقون باننا نناضل من اجل مستقبل افضل لتتحقق فيه سعادة الناس " . وفكر بردها المنطقي هذا .. مع احساس خفي بالاسى

— معك حق . لنعش حياتنا للحظاتها . التي اشعر احيانا باننا نختلسها .

— بل هي حقنا . علم بنا " .

وسار معها ، ويداهما متشابكتان لاول مرة منذ سنين .

ولم يستمر مشواره في الذكرى فقد استيقظ على طرقات السجان لباب زنزانته الحديدي وصوته المزعج صارخا ..

" تعال . انهم يطلبونك "

# مع أصدقاء الطليعة الأدبية

● الصديق نزار دويكات : نابلس

مقالتك " للشابة مطامح وآمال في الحياة " تطرح فيها قضية هامة في معركة التحرر الوطني . ولكن السرد التاريخي الذى بدأت استنتاجاتك عليه ، لم يكن علميا ومن المفيد هنا ان تراجع المقالة التلخيصية التي نشرت في مجلة الكاتب العدد (١١) والتي جاءت تحت عنوان وضع المراة عبر التاريخ " .

اما بالنسبة للقصيدتك الحنين " فانت ، ورغم تساؤلاتك الحائرة ، تتطلع الى المستقبل بثقة وتفاؤل " ساعود ولو بعد حين / ولكن مرفوع الجبين

ولكن ، ايضا ، تعاملك المباشر مع اللفظة يحول دون امكانية النشر . ونرحب بك دائما .

● الصديق سمير بيضون — القدس :

مباشرتك في الكتابة وتلازك من فكرة الى اخرى وعدم تحديدك للموضوع الرئيسي الذى تعالجه بالرغم من توهج بعض الكلمات الشاعرية ، افقد قصيدتك " اليك اعود " . ومع املنا بان تعود حقا الى مطالعة العديد من الدواوين والقصائد الشعرية الناجحة نرحب بانتاجك القادم الذى حتما سيكون افضل .

● الصديقة شهيرة — نابلس :

قصيدتك " ..." رد مباشر وعاطفي الى حد ما . ولكن نحن بحاجة اليه ، مما يثبت عدم سلبيته حتى النهاية . والواضح انك قد تاثرت بصرخات شعراء المقاومة وبالذات توفيق زياد وسميح القاسم في كتابة الاناشيد . ولكن كما تلاحظين فلا نستطيع نشر حتى العنوان الذى كتبته .

اما بالنسبة للقصة التي كتبتيها للاطفال " اجمل الامهات " فهي مفعمة بذات الروح ، ولكن الملاحظ ان كثرة قراءتك واستماعك ايضا للاغاني والقصائد السياسية قد جعلك تكررين المعاني ذاتها واحيانا كثيرة الكلمات ذاتها ، وانت تدركين حالة الكاتب التي سيضحي عليها في حالة رسمه ثانية لشخصيات غير شخصيته . لذلك عليك الكتابة به بعد ان تنسي الكثير من العبارات التي اعجبت بها في اثناء قراءتك ، لكي تملكي قلمك وشخصيتك المستقلة ومن ثم ان تقدرى ظروفنا في الصحيفة .

● الصديق " فلاح " — القدس :

ليس كل ما يصلنا نقوم بنشره او الرد عليه مباشرة اذ هناك تقدير لجميع المواد التي تصلنا ، ولكن المهم لديك هو ان لا تهمل اى من قصائدك .

بالنسبة لقصيدتك الاولى "اقول لجلادى " انت متاثر جدا بقصيدة محمود درويش الشهيرة " سجّل انا عربي " وكل ما جاء في هذا المجال من ملاحظات للصديقة " شهيرة " تامل ان تاخذ به .

اما القصيدة الثانية " ها انا في قصر النهاية " فقد اردت فيها ، على ما يبدو ، تسجيل ادانة الى نظامي الاردن والعراق الدمويين ولكنك لم توفق بذلك حتى على صعيد توصيل ما تريد قوله للقارىء ناهيك عن الاسلوب الذى يجب اتباعه في كتابة الشعر . عليك بمطالعة مزيد من كتب الادب والشعر منها خاصة ، مع عدم التسرع سعيا وراء طريقة من يكتب خمس قصائد او اكثر في جلسة واحدة ، ومن المؤكد انك لست كذلك .

● الصديق موسى عمر — السواحرة الشرقية .

نعتذر لعدم نشر قصتك " امراة مكافحة " لعدم نجاحها الفني ولذلك انها ابتعدت عن اى من عناصر كتابة القصة القصيرة الناجحة . وحتى تستطيع يا موسى النجاح في هذا المجال يجب امتلاك لغة سليمة معافاة لكي تسعفك في التعبير عن آرائك بالاضافة الى ضرورة الاطلاع على عدد كبير من الانتاج الادبي والتركيز على المجال الذى تشعر ان بامكانك ممارسة الكتابة فيه .

# لقطة

لجنة احياء لتراث الادباء الفلسطينيين ، تكون الجسر الذى يربط الكاتب المحلي بالجذور وبالتالي بعمق اصالة العمل الادبي .

ضرورة خاصة في الوقت الذى نحن احوج ما نكون فيه للتصدى لكل محاولات طمس الهوية الوطنية ، ..

# خواطر

(قلم خصوصي)

كل الدوائر مغلقة .. على صعيد جديدة .. لرموز جديدة . بالأمس رأيت دوائر جديدة قديمة . رأيت حبات المطر تتساقط . رأيت فتتزلزل حبات اخرى لتخلق الدوائر الالتماعية حيث لا تعلم بانها مغلقة تنفذ حتى العمق . تقبل حبات الرمل لتغدوا الا حبلى بالامل الاخضر . ازهارا وسنابل ..

ارقب ذاك التطور في الحيز الجدلي بين الارض وبين حبات المطر . تحتضن الارض تلك الحبات وتغوص الحبات في الارض حتى العمق .

كانت بالامس تمر كعادتي عينين سوداوين حالمتين بغد افضل . بالزمن الاتي الحامل بين ثناياه الحب لكل الناس .. لكل الاشياء الجائعة المنتظرة . رغيف خبز ساخن .. لكل المواعيد التي تعني صوت الامل القادم . لاطفال يولدون بلا احزان .

وجدتها تمر اليوم .. بتلك الدوائر الجديدة على وجنتيها . صبغتها بحمرة طبيعة " وهذا اللون يلوعني " . عشقتها ملايين مرة اكثر عشقت زوايا الغموض المحبوسة بين القطرة والقطرة . ادقق نظراتي فوق وتحت القطرات . اجد قصائد مكتوبة للوطن المسبي . جمع جواري الخليفة العباسي بغداد . سرقوا وطني كي يبيعوه بسوق النخاسة ببغداد ويشتروا عروبتنا بايديا . خناجر فوق القلب تهدد عروستنا ان تسكت .. ولكن حبيبتي تخلق الدوائر الجديدة . واذا نظر فيها من جديد قارىء ايا معنى القرمطي يمتشق السيف يهاجم بغداد . يطلب ان تصبح عاصمة للفقراء يحتضن اطفال الزيتون .. فتصبح جديلة خضراء يلفها حول خاصرة حبيبته فتكبر الدوائر وتصير اغنية

# الجديد

صدر العدد الحادى عشر من مجلة "الجديد" . وقد احتوى العدد على مجموعة من المواضيع والدراسات والمراجعات . وقد كتب رئيس تحرير المجلة الدكتور اميل توما بحثا عن "تراث درزى ام مؤامرة على الدروز" . ومن المواضيع الاخرى : شهريار لانطوان شلحت . وما نسيها لسلمان ناطور . فصل من رسالة المخربة لناجي فرح . واقع الناس تحت الاحتلال في رواية عباد الشمس لاسامة محاميد . حوار مع جواد الاسدى لسلمان ناطور . عن الذاتية في الشعر الملتزم لوزى سليمان . حديث مع الكاتب اكرم هنية اجراه الناقد عادل الاسطة . الثورة العلمية التكنولوجية في الزراعة وسائلها الجوع للدكتورة لجوى مخول الحلقة الاخيرة من دراسة ادب وفكر توفيق الحكيم لعيسى لوباني .

وتاريخنا الحديث يشهد لكتابنا الذين عبروا — هاتهم في ذلك شان باقي الكتاب العرب المناضلين خير تعبير عن تطلعات الجماهير في التحرر والوحدة من امثال : مظفر عبد الخالق وعبد الكريم الكرمي " ابو سلمى " ، نجاتي صدقي ، محمود سيف الدين الايراني ، غسان زقطان وغيرهم .. اعتقد ان تشكيل مثل هذه اللجنة سيكون من مهمة واجبات الكتاب في جمعية المثقفين بالقدس .

اسامة محيسن العيسة